العرب
الإثنين 2019/07/29
السنة 42 العدد 11422

المسرح السياسي يرصد الانتفاضات وصراعات السلطة

«أوبرا بنت عربي».. فانتازيا استعراضية تروي حكاية الاستبداد

لا تقف خيالات المسرح عند حد، فهو فن الطموح إلى التجديد وتخطي المألوف وتحطيم العلبة التقليدية برؤى مبتكرة ومعالجات مغايرة. وفي هذا الفضاء، حلّقت المسرحية المصرية "أوبرا بنت عربي" التي عرضت مؤخرا بالقاهرة.

مسرح يكشف خفايا القصر بالرقص والغناء (تصوير: محمد حسنين)

شريف الشافعي
كاتب مصري

القاهرة – سلكت مسرحية "أوبرا بنت عربي" في القاهرة مسارًا مختلفا بتناولها من خلال الاستعراضات الغنائية والقالب الأوبرالي التجريبي قضايا سياسية واجتماعية شائكة في إطار فانتازي، مستعينة بفريق من ذوي الاحتياجات الخاصة ونجوم السيرك القومي والألعاب الخطيرة.

وهذا العمل من إنتاج فرقة مسرح الشمس، لدمج ذوي الاحتياجات الخاصة، التي اختتمت عروضها مساء الأحد 28 يوليو على مسرح السلام بالقاهرة.

وأعادت المسرحية صياغة مفاهيم المسرح السياسي بأداء حركي تعبيري استلهم التاريخ والأسطورة، ليراهن العرض على تكافؤ البشر في القوة، مُعْليًا شأن القدرات الاستثنائية لذوي الاحتياجات الخاصة، ممن يمكنهم الاتحاد والثورة على السلاطين والحكّام الجائرين، وتهديد عروشهم بكلمة الحق.

البشر متساوون

أكثر من مغامرة خاضها العرض المسرحي، من تأليف ياسمين فراج وإخراج هشام علي وديكور رامة فاروق وأزياء أميرة صابر، حيث سعى إلى تقديم أوبرا في ثوب عربي بأداء غنائي لمجموعة من الشباب وراقصي "الهيب هوب" وأعضاء فرقة مسرح الشمس ونجوم السيرك القومي، بالإضافة إلى نخبة من ذوي القدرات الفذة من أصحاب الاحتياجات الخاصة.

انسجم التعبير الحركي للشباب مع التعبير التمثيلي والجسدي لأبطال العرض علاء قوقة وماهر محمود ونهاد عبدالفتاح وغيرهم، بمصاحبة صوت الساردة الفنانة المخضرمة سميحة أيوب، وتكاملت منظومة الفنون والألعاب المتداخلة بقصائد وأوبريتات مغنّاة من أشعار سامح مجاهد وألحان أحمد الناصر.

راهن العرض على فكرة أساسية هي أن البشر متساوون في مواهبهم وقوتهم وطاقتهم، مهما بدا ظاهريًا أنهم حُرموا من بعض الأعضاء أو الحواسّ بفعل حرب أو إصابة أو مرض أو سبب خلقي، فكل من له احتياج خاص أو لديه إعاقة ما أو تلعثم أو اختلاف شكلي هو إنسان كامل الإرادة والأهلية، بل إن لديه تفوقًا استثنائيًا في مجالات ما أخرى، وهو قادر على تخطي عجزه وتحويله إلى معجزة مدهشة.

شرارة الظُّلم

يمكن تصنيف "أوبرا بنت عربي" تحت مظلة المسرح السياسي العريضة، لكنها أضافت إلى ملامح هذا اللون الفني الكثير، بانطلاقها من معالجة أسطورية، واتكائها في الأساس على الاستعراضات والأغنيات والحركات الأكروباتية الفذة التي جمعت البشر والحيوانات المدربة أيضا، التي لا يُستهان بمقدرتها على العطاء هي الأخرى، كما في استعراض رقعة "الشطرنج" على سبيل المثال.

كشفت المسرحية كيف تتنامى انتفاضات الشعوب وثوراتها من شرارة صغيرة يُحدثها الظلم، وقدّمت قراءة ثاقبة لصراعات السلطة والحُكم وألاعيب السياسة وانتهازيات الوزراء والمسؤولين من زبانية السلطان ومعاونيه، والطامعين في عرشه في الوقت نفسه.

> أكثر من مغامرة خاضها العرض المسرحي في دراما ملحمية أوبرالية تجمع ألوانًا فنية مختلفة وألعاب السيرك والأكروبات

عبر حوالي مئة دقيقة، صوّرت المسرحية في فصلين بينهما استراحة قصيرة نشوء خلاف بين الزعيم الظالم "نيار" وقائد جيشه "عربي"، الذي فقد إحدى عينيه في معركة حربية دافع فيها عن البلاد بشرف، واتخذ الزعيم- الملك قرارًا بعزله بسبب تلك الإصابة، وسخر من عجزه "لم يعد الصقر لقبًا مناسبًا لك أيها الأعور".

وبعد عزل عربي من قيادة الجيش، استشعر خطرًا على بلاده بسبب تواطؤ الملك مع الأعداء، فاستقطب عربي مجموعة من المستضعفين والمظلومين والفقراء وذوي الاحتياجات الخاصة إلى الضفة الأخرى من النهر، وكوّنوا مجتمعًا نظيفًا قويًا وجيشًا بديلا تحت قيادته، تسوده المحبة ونقاء القلوب والقوة الروحية، ولديه كذلك مقدرة على القتال واسترداد الحقوق باليد والسلاح.

إلى جانب جرائم الحاكم الظالم في حق شعبه، وفساده الأخلاقي وعربدته وسكره، أقدم على جريمة أخرى، باستبداله ابنته "أوبرا" التي ولدت عمياء بابن قائد الجيش المعزول عربي الذي وُلد في اليوم نفسه، خشية أن يعاير الشعبُ الملكَ بأن له ابنة ضريرة.

مرت السنوات، وهرب ابن الملك المزيف من حكم أبيه الملوث إلى مملكة عربي وشعبه النبيل، والتقى الفتاة التي يظنها عربي ابنته، ونشأت بينهما قصة حب، وتعلم الشاب أخلاقيات المجتمع الجديد (الرضا، والقناعة، والأمل، والحلم، والمحبة)، لكن عربي رفض زواج الشاب والفتاة، بسبب جرائم الملك التي ستظل تلاحق ابنه.

هنا، حانت لحظة المواجهة، وعاد الشاب إلى أبيه المفترض "الملك" الذي أرهقه المرض والندم وطول البحث عن ابنه الغائب، وانحاز الشاب إلى الشعب المظلوم ومجتمع الفقراء والعجزة وإلى صوت قلبه، واتخذ قرارًا بعزل الملك، مفسدًا خطط الوزراء والخونة في الإطاحة بالملك وإسقاط المملكة، ليبدأ عهدا جديدا بفضل صوت الثورة وانتفاضة الشعب الذي تحرر من الخوف.

دوائر الإبداع

في سياق الحكاية الرئيسية الأسطورية، أبرز العرض تفاصيل الصراع على السلطة، وألاعيب السياسة في قصر الحُكم، منها على سبيل المثال خطط الوزير "إنكار" ونصائحه الخبيثة للملك، التي أوصله بها إلى الضعف والتفكك ونيل كراهية الشعب، وهو ما أراده الوزير ليقترب تدريجيًا من كرسيّ العرش، لولا عودة الأمير الشاب قبل تسلل الأعداء.

جاءت لغة العرض، سردًا وحوارًا، محملة بروح الحكمة والفلسفة ومشحونة بالشعر والأدبيات البليغة، بما حمّلها فوق طاقتها في بعض الأحيان "الشر الكامن يقتات على الليل المظلم، ليدمر الحياة ويدشن عرشًا للشيطان"، لكن مثل هذه النوافذ فتحت المجال واسعًا للتأمل والتعمق، واستعادت أجواء "ألف ليلة وليلة"، خصوصًا مع صوت الساردة العليمة "سميحة أيوب"، بهدف استكمال جوانب خفية في الحكايات الدائرة.

اتسق الديكور والأزياء التنكرية غير التقليدية مع الطقس الفانتازي للعرض، إلى جانب الماكياج الغرائبي وأقنعة التنكر والخدع، وشهد العرض تفوقًا كبيرًا في التعبير الحركي الجماعي، كما في المعارك، والمبارزات الثنائية بالسيوف، وطوابير الجيوش، والاحتفالات بتتويج الشاب ملكًا، والمناسبات الترفيهية والأكروباتية، وغيرها من المشاهد التي تطلبت تدريبات كثيرة، واشترك فيها ذوو الاحتياجات الخاصة بأداء مذهل خارق.

خلص العرض إلى أن الفرق بين الإنسان والآخر يكمن في العقل والقلب، فهما الجوهر، وما عداهما مجرد أدوات يمكن تنميتها وصناعتها إذا لزم الأمر، وقرنت المسرحية الخلود بقيمتي الشجاعة والشرف.

أما كلمة النهاية فقد كتبتها الفتاة "أوبرا"، بافتخارها بأنها ليست ابنة الملك الفاسد الضعيف "نيار"، وإنما هي "أوبرا بنت عربي"، ذلك الرجل الفارس الذي علّمها العفة والكرامة ونشيد الحرية "افعلْ، انهضْ، عِشْ.. إما أن نيأس ونموت، أو أن نجبرَ الأرض على أن تعجب بقوتنا".

دورة جديدة من الأيام الوطنية لمسرح الجنوب بالجزائر

الجزائر – تعود الأيام الوطنية لمسرح الجنوب في دورة تاسعة إلى المسرح الوطني الجزائري، خلال الفترة الممتدة من 29 يوليو الحالي إلى 3 أغسطس القادم، بعروض تقدمها الفرق المسرحية القادمة من جنوب البلاد في مسرح بشطارزي بالعاصمة. وستكون مدينة جانت الجزائرية (التابعة لمحافظة إيلزي) ضيف شرف هذه الأيام.

ويأتي هذا الحدث في إطار نشاط المسرح الوطني للشهر الحالي، حيث يستقبل مسرح بشطارزي عددا من العروض التي أنتجها المسرح الوطني والمسارح الجهوية، وبعض التعاونيات الخاصة.

ويتضمن برنامج العروض مسرحية "فخامة الشعب ينتظر" للمخرج ياسين زايدي، ونص يزيد صحراوي، وإنتاج تعاونية بور سعيد الجزائر، ومسرحية "سليمان اللّك"، اقتباس محي الدين بشطارزي عن نص "مريض الوهم" لموليير، وإخراج عبدالكريم بريبر، وإنتاج المسرح الوطني الجزائري، ومسرحية "أرلوكان خادم السيدين" للكاتب الإيطالي كارلو غولدوني، في نسختها الجديدة للمخرج زياني شريف عياد، واقتباس محمد بورحلة عن النص الذي ترجمه الراحل عبدالقادر علولة، وإنتاج مشترك بين المسرح الوطني الجزائري والمسرح الجهوي في مدينة وهران.

وتُعرض على مسرح بشطارزي أيضا مسرحية "الموقوف رقم 80" لفرقة المسرح الحر "ميلاف 86"، تأليف الكاتب السعودي عباس الحايك، وإخراج زروق نكاع، ومسرحية "ماذا... لو" نص الحايك أيضا، وإخراج مصطفى صفراني، وإنتاج الجمعية الثقافية القناع للفنون الدرامية في مدينة ميلة، ومسرحية "المينة" للمخرج شوقي بوزيد، ونص رشدي رضوان، وإنتاج مسرح بسكرة، ومسرحية "صفية" نص وإخراج إبراهيم شرقي للمسرح الوطني الجزائري.

تسلط مسرحية "فخامة الشعب" -التي يمثل أدوارها مؤلف النص يزيد صحراوي، ودايخة يسري، وشعبان محمد عزيز- الضوء على الحراك الشعبي الذي عاشته الجزائر مؤخرا، وأرغم الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة على التنحي، وتتطرق إلى موضوع تغيير ذهنيات الأجيال من خلال قصة فتاة جامعية ترغب في الخروج، رفقة خطيبها الصحافي، إلى الحراك الشعبي للمطالبة بالتغييرات، لكن والدها يعارضها بحدة، متعللا باعتبارات عديدة.

وتتلخص مسرحية "سليمان اللّك" -التي تتقاسم أدوارها مجموعة من الممثلين، منهم ياسين زايدي، وعبدالكريم بريبر، وإبراهيم شرقي، وحفيظة بن رازي، وصالحة بن ناصر، وحكيم قمرود، وفاتن قصار- في أن رجلا اسمه "سليمان اللك" يتوهّم أنه مريض، لكن تفكيره المرضي يدفعه إلى تزويج ابنته من طبيب، لا لأنه يريد سعادتها، بل بحثا عن شخص يقف إلى جانبه طوال الوقت ليتجاوز محنته، لكنه عندما يكتشف أن مرضه عبارة عن حالات عصبية ونفسية عابرة يتضح له أن ابنته لا تحب الزوج الذي اختاره لها. وتطرح المسرحية علامة الاستفهام هل يحقق «سي سليمان" رغبته في هذه الحياة؟

مسرح الجنوب له خصائصه الفنية

وتدور أحداث مسرحية "الموقوف رقم 80" -التي يؤدي أدوارها محمد الحواس، ويحيى طبيش، وآسيا شرطيوي، ومحمد عنيقي- في غرفة تحقيق مع عدد من الموقوفين، حيث يحاول المحقق، بشتى الطرق والوسائل، إجبار أحدهم على الاعتراف بالجرائم المنسوبة إليه، والتي فشل الكثير من المحققين السابقين في انتزاعها منه طوال مدة اعتقاله. لكن المحقق يصطدم بشجاعة الموقوف وإصراره على براءته، مؤكدا أن التهم المنسوبة إليه حق من حقوقه الشرعية وفقا لملصقة العمل.

أما مسرحية "المينة" فتتناول، في سياق من الكوميديا السوداء، ظاهرة تفشي الفساد في الإدارة من خلال شخصية "سي جلول المير"، أو رئيس البلدية الذي يمارس هيمنته على من حوله بقوة المال والجاه والنفوذ. لكن الظروف تقود "المير" إلى المينة، أو المنجم، لتكريم آخر عامل فيه هو "مسعود الروشي"، ضمن حملة انتخابية مبرمجة، فيجد نفسه في ورطة بعد أن انسد المنفذ الوحيد للخروج من المكان، إثر عملية تنقيب غير شرعية عن الذهب، فيحاول استعطاف ذلك العامل النزيه، الذي قضى 30 سنة في المنجم، من أجل إيجاد مخرج له، ولفريقه المتكون من سكرتيرته الخاصة وصحافية، لكنه يواجه رفضا قاطعا من العامل.

وسبق أن مُنع عرض المسرحية في الطبعة الـ13 من المهرجان الوطني للمسرح المحترف عام 2018، بسبب مشهد تضمن رسائل سياسية رفضت الرقابة أن يُدرج في خانة الإبداع المسرحي، الأمر الذي دفع العديد من المثقفين إلى اعتبار منع عرضه صفعة على وجه الفن الرابع، والتنديد به في بيانات نُشرت عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

وتدور أحداث عرض "صفية" حول موضوع العودة والموت، عبر سرد قصة حب تربط بين "لمجد" (الذي يجسد دوره المخرج إبراهيم شرقي) و"منانة" (التي تجسد دورها فايزة أمل)، لكن هذه العلاقة تحمل في طياتها بذور فنائها منذ الوهلة الأولى، فهي تجعل من حياة "منانة" مأزقا مأساويا عندما يغدر بها حبيبها، ويهرب تاركا في أحشائها بذرة، ويشاء القدر أن تلتقي به من جديد وهي تائهة تلف صحراء قاحلة، وهو اللقاء الذي صنفه المخرج على أنه جمع بين إرادة الخير التي تمثلها "منانة" كونها ضحية حب ممنوع، وإرادة الانتقام من لمجد كونه رمزا لإرادة الشر والغدر والعذاب.

يتضمن برنامج الأيام الوطنية لمسرح الجنوب، إلى جانب العروض المسرحية، 3 ندوات فكرية حول "الخيارات الجمالية الجديدة في مسرح الجنوب" يشارك فيها أكاديميون معروفون في المسرح الجزائري، وعروضا في الشارع، ونقاشات على هامش العروض المسرحية، وبيعا بالإهداء للكتب، وورشات تكوينية مخصصة للغة الجسد، والإخراج، والإضاءة، من تأطير متخصصين محترفين، وتكريمات لعدد من فناني المسرح، وأمسيات للشعر وموسيقى التراث الصحراوي، ومعرضا لفن الخط والفن التقليدي في الجنوب.

الأيام المسرحية للجنوب
من 29 جويلية إلى 03 أوت 2019
الطبعة التاسعة
مدينة "جانت" ضيف شرف

> برنامج الأيام يتضمن إلى جانب العروض ندوات فكرية، وعروضا في الشارع، وحلقات نقاش وورشات تكوينية